دراسة نقدية تحليلية
في
قصة (المحراث) لعبد الله خورشيد

أ.م.د. سلافة صائب خضير
جامعة بغداد /كلية التربية/ ابن رشد

القصة فن أدبي تهتم بحدث معين يحصل في لحظة ما ، فلا يعنينا ماحصل قبله ، ولا يهمنا ما يحصل بعده ، والقصة التي سأتخذها محورا لدراستي النقدية هي قصة (المحراث) ((1))، التي كتبها الدكتور عبد الله خورشيد ، وهي قصة قصيرة يمكن تصنيفها على أنها من ذلك النوع من القصص ((التي يركز مؤلفها على عواطف الشخصيات ؛ ولذلك يعمد الى الموضوعات التي تركز على العواطف ، وكثيرا ما تكون موضوعاتها ذات طابع مأساوي)) ((2)) ، والاحداث التي ساقها القاص لبناء قصّته تتلخص في أن فلاحاً فقد ولده الوحيد محمداً لتبقى له البنات (نفيسة) وأخواتها الصغيرات ، فقد جرح محمد جرحًا عاديًا في الحقل ، فعالجه له ابوه فغطاه اولا بطين الحقل ،ثم كبسه بالبن ، وربطه ربطا شديدا بخرقة ملوثة ، وتركه ذلك اليوم بلا عمل ليستريح ، الا ان محمدا استيقظ مساء و قد سخن جسده بعد ان تلوثت ساقه ، فنقله الى المستوصف ، وهناك ارسله الطبيب بدوره الى المستشفى الاميري ، فمات هناك تاركا لوالده الحسرة واللوعة .

اختار القاص لقصته عنوانا هو(المحراث) ، وقد ذكر المؤلف المحراث في اثناء القصة أنّه سبب موت محمد قال : ((أصابه سلاح المحراث في ساقه ، ونحن في الحقل ، لم يصرخ لم يكن حتى يتألم))(3) .ثم لم يذكر المحراث إلا في خاتمة القصة ، في السطرين الأخيرين عندما قال (ويواصل ابو محمد السير الى الحقل ، يسوق بقرته ،

تخطي هذه الأزمة ، نجد الفلاح يبدأ بسرد الحادثة التي كانت السبب في موت ولده ،ونجد القاص لايفوته في أثناء ذلك أن ينقد الوضع الصحي في الريف ،ولو كان هذا بشكل خفي، فالجهل يسيطر على العقول(متمثلا بالفلاح) ، وقلة الحيلة تتجسد بحال الطبيب الذي أخذ الفلاح ولده إليه ، قال الفلاح عنه :((ووصفني بألفاظ بدت لي أكثر تأدبا من ألفاظ العمدة ، وضابط النقطة ، ومعاون الزراعة ، كتب ورقة ، وأزاحها على المنضدة البيضاء بأ طراف أصابعه الى ناحيتي)) (١٠) .

فالفلاح مستسلم لكل ما ينعت به كأنّه أمر مسلم به ، بل هو عندما أمسك الورقة التي أعطاها الطبيب له ، شكره ، ودعا له بالصحة ، وطول العمر. ونجد هذا الاستسلام عينه بعد موت محمد ، قال الفلاح : (آه صباح جديد يطلع على العالم ، ولكنه صباح بلا محمد . نار ثقيلة تشتعل في صدر الرجل وأحشائه ، وتتقلص قسماته ، ويرتج بدنه ، يدفن وجهه في راحتيه ، ويروح يبكي كالأطفال))(١١).

واستطاع القاص ان يعبر عن الجا نب النفسي للشخصيات في قصته ،ولكنه وقع في مأزق ظهور شخصيته هو، أي (د. عبد الله خورشيد) من خلال السرد القصصي ، وأحيانا يخيل إليّ أنه عمد الى ذلك عمدا . فلما كان السرد ((هو نقل الحادثة من صورتها الواقعة الى صورة لغوية))(١٢)، فقد أراد القاص نقل الحادثة التي وقعت فعلا ، ولكنه في الوقت نفسه أراد أن يقول كفانا سكوتا على الواقع المرّ الذي يمرّ به الفلاح ، او الذي يمر به غيرنا ، ومصداق ذلك نجد بعض العبارات التي أضافها القاص خلال قصته ، وجاءت بأسلوب فخم متميز عما قبله من الجمل ، قا ل الفلاح ، وهو يرى ولده ، وهم يدخلونه الى غرفة العمليات : ((يعني الولد حيموت يا سعادة البيه ؟)) ثم يقول على لسان الفلاح ، ولكن بلغة أكثر رزانة ، وبنظرة أكثر عمقا للأمور وما يحصل حوله منها : ((حملوه الى حجرة العمليات على منضدة بيضاء طويلة وضيقة ،ذات أرجل نحيفة عالية تركز على عجلات صغيرة سوداء حرة الحركة تحدث عندما تحتك با لبلاط أصواتا كصوصوة الكتاكيت نشط الامل في قلبي ، وانا انظر اليه راقدا في قميص تحت ملاءة بيضاء (كل شيء في المستشفى ابيض) ، على هذه النقالة البيضاء ، يقودها من الأمام ، ويدفعها من خلف ممرضان شابان ، خفيفا الحركة ، تحس أن لهما قدرا من السلطة يستمدانه من ثيابهما . حتى الأحذية في أقدامهما بيضاء ، والطا قية على رأسيهما بيضاء

نحو الرجل الذي ظل يجالسه منذ حوالي الساعة – وكان هذا قد نهض واقفا بدوره – ومدّ إليه يده المعروقة فصافحه)) وكأن في مصافحة الرجل ايمان مطلق بقدر الإنسان فهو يسير في طريق قدّر الله سبحانه وتعالى له أن يسير فيها شاء هذا أو أباه ، ولكن القاص لايطلعنا على قبول ابي محمد ماقدر له أو رفضه ،الا بعد أن نتم قراءة القصة كاملة ، فنعرف أن عودته الى العمل كانت اقرارا منه برضاه بقدر الله في بقاء البنات ، وموت الذكور .

لقد بنيت قصة المحراث على عاطفة الأب المياشة ، وقد استطاع القاص وبنجاح أن يشعرنا بقوة هذه العاطفة من بدء القصة حتى خاتمتها ، وقد سيطر على القصة السرد العاطفي ، الذي يعد من ((الطاقات التي لايوهبها إلا القلائل ، فإذا ما إمتاز بها أحسسنا أن عباراته تتنفس وتتحرك ، ويثو بعضها بعضا ... من مطلعه الى خاتمته ، ويخيل الينا أن في صدر صاحبه ينبوعا غزيرا نعب منه ...))(٦). فالقاص لا يتركنا لحظة ننسى اننا في حضرة الموت ، وان ما يلاقيه ابو محمد قد يكون حال احدنا في يوم من الايام ، ففي بدء القصة يسمعنا صوت احد المعزين قائلا: (شدّ حيلك ، ربنا يعوض عليك) ، ثم يجسد لنا حزن ام محمد عندما انفردت بأبي محمد ، فهي واقفة وقد كانت ملامح الحزن بادية عليها فنراها ((تمدّ يسراها تحت صدرها ؛ لتسند بدورها رأسها المنحني الى أسفل .كانت في وقفتها تلك ، وثوبها الاسود ، تمثالاً للحزن والاستسلام))(٧). ثم يذكر لنا مشهد موت محمد قال على لسان بطله : ((كنت على بعد خطوة منه .هتفت به . قال في صوت أقرب الى الصياح بي ، وهو يصفق الباب في وجهي- البقية في حياتك ياعم))(٨) . بهذا يكون القاص قد حافظ على مشاعرنا حزينة على مدى قراءتنا القصة ، بل حتى عندما نتركها يبقى في نفوسنا شيء من الحزن .

واستطاع القاص أن يصور لنا حدث القصة من خلال التركيز على الشخصية الرئيسة في القصة ((أي تصوير الشخصية وهي تعمل)) (٩) . وهي شخصية الفلاح المفجوع ؛ إذ كان محراثه – سبب رزقه بل سبب حياته – هو سبب فجيعته وآلامه ، ونجد أن القاص قد استطاع أن يحقق توازناً دراميا في الحدث الصاعد الذي بدأ به بعد المقدمة (ذات المشهد الممسرح)التي سبقت الإشارة إليها ، ووصف حال الرجل الفقيرة ،ووقوف الناس – أهل القرية – معه ومساعدته على

محمد يضرب في المياه بساقيه السمراوين النحيفين ، وهو ينظر إليها ويبسم . المياه تبدأ تكتسب لونا أخضر ... خطوط حمراء متعرجة تظهر في المياه الخضراء . الخطوط الحمراء تهتز في حركات سريعه كالحيات . الحيا ت الحمراء تتكاثر ، وتصبح أطول ، وأضخم محمد يخاف ... يكاد مرة أن يقع الى حيث تبتلعه المياه الخضراء ، وتلتهمه الحيات الحمراء. يصرخ مستنجدا بأبيه . أبوه يخلع ملابسه ليخوض المياه إليه .

فوق السطح يرف جناحان قويان ، وينطلق صوت طويل حاد . صوت شجاع يتحدى الظلام والخوف ، ويهتك الصمت والسكون . يعتدل أبو محمد في جلستـــــــــــــه . ويفتح عينيه متعوذا . للحظة خاطفة ، لايعي شيئا مما حوله ، لكنه لايلبث حتى ينتبه . يدرك في تتابع سريع أنـه قد أغفى وهو جالس ، وأنه جالس لأنه لم يذهب لينام ، لأن ابنه قد مات)) (١٥) .

لقد جسد الحلم آلام الأب ، ورمز الى شعوره بعظم الجرم الذي ارتكبه بحق ولده ، فقد ظن عقله اللاواعي أنّه سبب موت ولده محمد ، لقد وصف الأب حال رجل ولده عندما نقلـه الـى المستوصـف قـائلا : ((قضـينا ليلـــــــــــة مفزعة . وفي الصباح استلفت ركوبة حملته عليهـا الـى المجموعة . لما فك الطبيب الرباط فوجيء . أنا فوجئت أكثـر . الجـزء المربوط كان أحمر . وحول الجرح ينتشر في الحمرة لون أخضر داكـن . والساق السمراء منورمة وتلمع)) (١٦) . فالمياه الخضـراء قـد ابتلعـت محمدا ، والحيات الحمراء التي إلتهمته كانت تجسيدا لذلك المنظر المرعب الذي تفاجأ به الأب عندما رأى ساق ولده .

ويمكننا أن ندرك أن القاص قد أفاد من طاقة الألوان الايحائية فـي إضفاء مزيد من الحيوية على قصته ، فإذا نظرنا الى مشهد الحلم نراه ابتدأه أولا بقوله : ((لم يعد الفضاء رماديا)) فاللون الرمادي يدل علـى عـدم الالتزام وعد م التورط ، ومن يثير اهتمامه هـذا اللـون يريـد أن ينـزع نفســـــــــــــــه من أي تأثيرخارجي . إنّه غير متحمس لتحمل دور ما ، ويعزل نفسه من أية مسؤولية مباشرة . وحتى لـو أخـذ دورا فهـو يمارسه عن بعد ، إنّه يقف جانبا ، ويراقب نفسه تتحـرك مـع الآخـرين .(١٧) ، ولما كـــــــــان القاص قد أبعد اللون الرمادي . جعلنا نشعر أن البطل أراد أن يجعل نفسه موضع إلتزام وتورط ، وهو يحمـل نفسـه مسؤولية موت ولده ، بل إنّه يريد أن يمارس دوره بصفته منقذ ولده مـن الهلاك، ومن المياه الخضراء ، والحيات الحمراء.

. صحيح ـــ قلت لنفسي ـــ وابتسامة خفيفة ترتسم على شفتي ـــ إن الطب نعمة كبرى من عند الله. و مستشفيا ت الحكومة ؟ يا سلام ! كم تكلفني هذه العملية لو أجريت عند طبيب خصوصي ؟ شعرت بأهميتي عندما أكتشفت فجأة أنني الأن أتعامل مع الحكومة))(١٣). فمن كان في حال الفلاح ، وهو يرى أمامه ولده والموت يخطفه لا يلتفت الى لون الملابس ، أو هيأة الممرضين ، ولكن القاص أراد أن ينقل الصورة التي يجب أن تكون عليها المستشفيات إذا ما حصلت على عناية كافية ، وإلا فلو حذ فت هذه العبارة ، وانتقلنا الى ما بعدها عندها قال : ((وقفت في أول الممر الذي تقع فيه حجرة العمليات ، وتعلق بصري با لباب الأبيض الذي دخل محمد منه ثم أغلقت وراءه ...))(١٤) . لكان الأمر مقبولا عندنا .

وللحلم في قصّة المحراث دور مهم في تهيأة البطل لقبول المصيبة التي حلت به،فإذا كانت الأحداث قد تسارعت أمامه فجأة ،وخطف منه محمد على حين غرة ، ففي الحلم كان هناك تمهيد ،والحلم كان مختلف مع متن القصّة ،ولم يكن نا بيا عنها ،حتى أنّ قاريء نص القصّة للمرة الأولى يفوته أن يدرك أن هذا حلما ،ولايدرك وجوده الاّ عند نهايته عندما يقول البطل : ((لماذا لم تمهلني أيها الديك حتى أنقذه ؟)) . لقد استطاع القاص توظيف الحلم في تفريغ مشاعر البطل التي وصلت الى أقصى حالتها ، قال على لسان الفلاح بلغة ترتفع عن أن تكون لغته: ((لم يعد الفضاء رماديا . تحول الى قبة هائلة من زيت كحلي غامق .النجوم شديدة التألق ، قطع نادرة من الماس الباهر . الأصوات انقطعت ، ابتلعها بئر . الحركة تجمدت أصابها شلل مفاجيء . الوجود منكمش على نفسه كطفل يدس وجهه وأطرافه في حضن أمه النائمة هربا من خوف مختبيء في الظلام . النسيم البارد – وحده – نشط ، يركض بين الكائنات الهامدة كجيش من الألواح الشاردة. خيل الى أبي محمد أنه الكائن الحي الوحيد المستيقظ في هذا العالم . زاده هذا شعورا بالوحدة ، وعمق إحساسه بالفجيعة . كان الحزن ، والجوع ، والإرهاق قد استنفذت قواه . وضع يديه في حجره ومال برأسه نحو وسطه وأغمض عينيه .

أرض بعيدة واسعة . محمد يقف وحده في وسط هذه الأرض . مياه تخرج من مكان غير مرئي ، وتسيل فوق هذه الأرض . محمد سعيد بهذه المياه . المياه تزداد وترتفع . محمد يضطر الى رفع ثوبه عن ساقيه .

ـــ والأخرى دلالة نفسية يشيعها اللون الأحمر الذي تلونت به الحيات ، وهو لون (الأحمر) مرفوض بسبب ارتباطه بالحية ، وهذا شيء مخيف لا يريد أحد أن يكون على جسده .

ورفض الأحمر يكون في ((حالة محاولة الفرد أن يتغلب على الأرهاق العصبي و الجسدي بقوة الارادة فقط))(٢٢) .ومع رغبة محمد في المقاومة ، واعتراف الاب بالذنب ؛لأن الذنب ومحاولة التخلص من الواقع المرير يفشل محمد في أن يتخلص من أذرع الموت التي تحيط به ، قال : ((محمد يضرب بقدميه ليتخلص . قدماه لا تستطيعان مقاومة الخطوط الشيطانية . يكاد مرة أن يقع الى حيث تبتلعه المياه الخضراء ، وتلتهمه الحيات الحمراء ، يصرخ مستنجدا بأبيه ، أبوه يخلع ملابسه ؛ ليخوض المياه إليه))(٢٣) . وهنا ينتهي الحلم إذ يستيقظ أبو محمد على (صوت شجاع يتحدى الظلام والخوف ، ويهتك الصمت والسكون)؛ فيخاطبه أبو محمد قائلا : ((لماذا لم تمهلني أيها الديك حتى أنقذه))(٢٤).

ونجد في قصة المحراث شخصيات واقعية الوجود اهمها الاب ، وهو الشخصية الرئيسة ثم الأم ، ومحمد ، وهناك شخصيات أخرى ثانوية كان وجودها يعزز من موقف البطل ، ويزيد من تعرفنا عليه وشعورنا بآلامه ، وقد استطاع القا ص بنجاح أن يقدم لنا شخصية حية ، وهي شخصية يريد القاريء ((أن يراها وهي تتحرك ، وان يسمعها ، وهي تتكلم ، يريد ان يتمكن من أن يراها رأي العين)) (٢٥) .

فالشخصية الرئيسة التي تدورحولها أغلب أحداث قصة المحراث هي شخصية الأب ، وقد اتسمت بالمواقف الخا طئة التي تكون لها نتائج خطيرة أثرت في مسار القصة ، ثم نجد شخصية الأم التي لاحول لها ولاقوة ، تظهر لنا باكية بعمق ، صامتة لايسمع منها سوى (آه) عميقة طويلة حارة تقف كاتمثا ل تنتظر ما سيقرره أبو محمد بشأن الطعام ، وعندما تحضره له تقف بين يديه منتظرة سيأكل أو لا ، بل إنها لا تجد لنفسها حلا أن تولي هاربة عندما يأمرها برفع الطعام ؛ لأنه لايقدر على الأكل .

والشخصية الثالثة هي شخصية محمد الذي لا نسمع صوته ، وانما نجد أمامنا قدمه المصابة وهي تنزف ، ثم نجد أباه وقد تركه يستريح بعد إصابته من العمل ، وكانت هذه الاستراحة هي آخر فرصة ؛ ليعيش حياته

ونجد في حلم البطل أنّ الفضاء تحول الى قبة هائلة من زيت كحلي غامق . واللون الكحلي ، هو لون الكحل أي الأسود ، وأختار البطل أن يسميه كحلي نسبة الى الكحل الذي مكانه العين ، فسواد الفضاء نا بع من العين الى الخارج ، قبل أن يكون آتٍ من الخارج الى العين ، وبهذا يكون السواد أكثر عتمة فهو سواد نا بع من النفس وإليها ، وليزيد البطل من هذه العتمة ، قال: إنه زيت ، والزيت أكثر كثافة من الماء . وقا ل غامق ليزيد هذه العتمة ، والأسود في تأثيره النفسي يمثل الاستسلام النهائي . واختيار اللون الأسود بعد اللون الرمادي يفسر من الناحية النفسية أن صاحب الاختيار ((يريد أن يتخلى عن كلّ شيء ناتج عن معارضة حرونة ضد الحالة الحاضرة التي يشعر فيها بأنه لا شيء يجب أن يظل كما هو، إنه في ثورة ضد القدر أو ضد حظه على الأقل ؛ لذا يتصرف بدون حكمة في ثورته))(١٨) . وهذه هي حال بطلنا ، يرفض واقع موت ولده الوحيد محمد ، فهو رافض لقدره لذلك يختار الحلم متنفساً للتعبير عما يعانيه من آلام نفسية حادة .

ويأتي بعده دور اللون الأخضر الذي اكتسبته المياه التي احاطت بمحمد في الحلم ، وتريد ابتلاعه ، واللون الأخضر ((يرتبط بمعاني الدفاع والمحافظة على النفس))(١٩) . وقد ازداد الأخضر قتامة فقد امتزج مع اللون الأسود الذي له تأثيرقوي على غيره من الألوان ، ويؤثر فيها ، إشارة الى تشبث محمد بالحياة ، ورغبته في الا يفارقها ويفارق والده ؛ لذا فهو ((يضرب في المياه بساقيه السمراوين النحيفتين ، وهو ينظر إليها ويبتسم ... محمد يلتفت حواليه يبحث عن مصدر هذا اللون الأخضر)) (٢٠) .

وإذا كان محمد في خضم دفاعه عن نفسه ، وتمسكه بالحياة ، ودفاعه عن نفسه ضد ما يحل به على الرغم منه ينقلنا القصّاص مرة أخرى قائلا : ((خطوط حمراء متعرجة تظهرفي المياه الخضراء . الخطوط الحمراء تهتز في حركات سريعة كالحيات . الحيات الحمراء تتكاثر، وتصبح اطول ، وأضخم))(٢١) .

واختيار اللون الأحمر فيه دلالتان :

ـــ أولاهما : إشارة الى النزيف الأحمر ، واحمرار الساق بعد ربطها بصورة خاطئة ، وفي ذلك اعتراف من الأب بمسؤوليته عما أصاب ساق ولده .

من آلام ، وضياع وما يقاسيه من هوانه على الناس ، وقلة مبالاتهم بـه ، فليس مهما عندهم وجوده أو عدمه ، فلا أحد يراه أو يهتم لأمره .

أما النوع الثاني من الحوار فيكون بين البطل ، ومـن حولـه مـن الشخصيات عدا شخصية محمد ، فهو لم يتكلم معه ، كأنه غيـر موجـود أصلا ، ويختلف هذا النوع عن سابقه أن العامية قد دخلـت فيـه موحيـة للقاريء أن هذه الشخصيات فلاحية ، وأول حوار نسمعه بين الأب المفجوع والشيخ حسن ، عندما قال الأخير : ـــ هه : تصبح على خير يابو محمد . شدّ حيلك ربنا يعوض عليك ، ويبارك لك في نفيسة وأخواتهـا)) (٣١) . فتبدو لنا حقيقة الفاجعة مجسدة من خلال نظرة الآخرين الى هذا الرجـل ، فمصيبته ليست بفقد محمد ، وانما ببقاء الرجل بلا سند معه في حياته .

ثم حواره مع زوجته أم محمد عندما ((ضغط علبة السجاير مـن أسفلها بباطن إبهامـــــــــه ؛ ليدفع جزءها الداخلي الى أعلى ، ولكـن زوجته عالجتـــــــــه بمزيج من الاشفاق ، والاحتجاج ، والأسى : كفاك سجاير ياخويا . صدرك انحرق ، وبقك مرر . قال في لامبالاة من لم يعـد يحرص على أن يظل حكيما ، وهو يواصل فتح العلبة ، ويخرج سيجاره : ـــ يعني هي السجاير أكثر من النار ، ولا المرار اللي أنا فيه ؟! ـــ قالت تقترح عليه في تردد : أجيب لك لقمة ؟)) (٣٢) .

ويبدو لنا من الحوار بين الأب المفجوع ، والأم الثكلى أن أبا محمد قد عزل نفسه عن العالم الذي يعيش فيه ، فلا يرى ، ولا يشعر الاّ بما يشـعر به في لحظة وفاه ولده . فقد توقفت عقارب الساعة عند تلك اللحظة وحتى ما قد يمارسه من أفعال فيما بعد ، فهي ما يقوم به رغما عن إرادته ، ولكن الظروف وحدها هي التي ستملي عليه ما يفعـل ، قـال القـاص((لعلهـا السيجارة الثالثة ، أو الرابعة منذ تركتـــــــــه زوجته ، لايهـم . مـا زال في العلبـــــــــة سجاير كثيرة . بل إنّ معه علبة أخرى ، كبيـرة كذلك (عشرين سجاره) ، لم تفتح بعد ، وفي حافظته عشـرة جنيهـات ، وفي الحجرة حلل ملأى بالطبيخ واللحم ، وربما الأرز . وهناك خبز كثير . سبحان الله ! كأنهم ناس أغنياء . بل لقد أصبحوا بالفعل أغنياء فجأة . لقـد أسرع الناس إليهم يزودونهم بالطعام والنقود . وأعربوا عن كثير من النوايا الطيبة المؤثرة)) (٣٣) . فقد راعى القا ص في الحوار الفرق بين كـلام الأب ، وكلام الأم ، واستطاع إظهار اللوعة والحسرة التي اعترتهما ، ولم يفته كذلك إظهار المستوى الاجتماعي لهذه الأسرة مـن خـلال اسـتعماله

كما يشاء ، قال الأب : ((لم يعد محمد الى الحقل معي ؛ لأ نني رأيت له أن يستريح . ذهب الى الدكان حيث جلس مع بعض أقاربه ، وأصحابه من الشباب ، وشربوا الشاي ، ربما المعسل ثم عاد الى المنزل ونام)) (٢٦) .

وكأن محمد جمع كل ما تهواه نفسه في يوم واحد ، هو آخر يوم له في هذه الدنيا ؛ لأنه ((لما استيقظ في المساء كان يتألم . كانت ساقه توجعه ، وجسده ساخناً . طلب ماء شرب بعضه واشتكى برودته . عاد فاستلقى على نفس هذه الحصيرة التي أجلس عليها . الآن بدا في عينيه شيء من الذبول . راح يحرك رأسه يمنة ويسرة في ضجر)) (٢٧) .

والكلمة الوحيدة التي نطقها محمد هي كلمة (المحراث) ، قالها ، وهو في غيبوبة الحمى ، فكأنه أراد أن يلفت نظر الأب الى أن سبب موته هو نفسه سبب حياته ، قا ل الأب : ((ورحت أفكر في عمل الغد للحقل ، راجيا أن يصبح محمد أحسن . بعد قليل بدأ يتململ ، ويتأوه . انتبهت أمه من نعاسها ، ومالت معي نحوه نسأله ما به . كان جسده ساخنا كمن طا ل تعرضه لشمس حامية ، وأنفاسه حارة كهواء ظهر قائظ . لم يبد أنه أحس بنا . راح يغمغم أصواتا مختلطة ، ويحاول أن ينطق لكلمات لم نتبين منها سوى كلمة : المحراث . صاحب بي أمه في جزع :

_ يامصيبتي ! الواد يخرف . إحنا ما نسكش عليه أبدا . تأخده وتروح المجموعة من النجمة)) (٢٨) .

وقد استطاع القاص بنجاح أن يوضح ملامح شخصية الأب من خلال الحوار الذي انقسم في قصة المحراث الى قسمين :-

أولها : - كان حوارا داخليا (البطل مع نفسه) ، قال عندما انتهى من السلام على آخر المعزين : ((كثّر خير الناس . لقد امتلأت الدار بهم ـــ رجالا ونساء ـــ طوال اليوم)) (٢٩) ، وقال : ((لم يكن هناك أي مقعد ، فجلست القرفصاء بجوار الحائط عند باب الممر ، وأسلمتها لله ، كم من الوقت مرّ؟ لا أدري . لكنه كان وقتا طويلا جدا ، فتح الباب في نهايته التي بدا أنها لن تأتي ... خرج الجراح عابسا يمسح العرق عن جبهته بظهر كفه ، ويدلك ذراعي منظاره بأصابعه ، ويمسح ما وراء أذنيه بسبابته ، مسرعا فيما يشبه الهرب الى حجرة الأطباء ، صدمني منظره وانقبض قلبي ، نهضت واقفا ، لكنه لم يلتفت ناحيتي عندما مرّ بي ، كأنما لا يراني ، تجمد ت قدماي في موضعها ، ولم أجرؤ أن ألحق به لأسأله)) (٣٠) . فالأب يتكلم مع نفسه ساردا لنا ماحصل ، وما يعتريه

من ورائها الصورة المأساوية التي عاشها هذا الأب ، وهو مدرك تماما أنه سبب موت ولده الوحيد محمد ، ولكن المشكلة التي سببت له الحيرة أنه لايعرف لماذا مات ولده على الرغم من أنه اتبع الخطوات الصحيحة ـــ بزعمه ـــ في علاج الجروح .

ولايستطيع القا ص أن يخفي شخصيته وراء شخصيات القصة ، بل أرى أنه أحياناً يعمد الى إظهارها واضحة أمام العيان ؛ لنفهم أن وراء فكرة موت محمد على يد والده حالة عامة قد يكون القاص أو أي أحد منا قد عانى منها ، فقد تحدث لأي أحد . وإن أموراً عامة قد حد ثت في القصة يمكن أن تحدث في أي مكان ، وأي زمان ، فهي شائعة ينتبه إليها كل البشر ، قال : ((تنتهي مظاهرة السحر . رضيت الديكة عن أنفسها ، واطمأنت الى أن أمة الدجاج مازالت بخير . تعود الى الصمت ، وتستأنف النوم . ولكن الدنيا تبدأ تستيقظ ، ولايعود أبو محمد هو المستيقظ الوحيد في هذا العالم . سعلة . صوت كوز يرتطم بإناء . صوت رجل أجش يطلب شيئا . بكاء رضيع . صوت امرأة خا فت يملأه النعاس . رجل يتشهد . خفق قدم على الطريق . صوت وقور ينادي ، وهو يمر بالأبواب المغلقة :الصلاة)) (٣٦) .

فما حصل قد حصل ، ومات محمد ؛ لذا لابد أن تعود الحياة كما كانت ، ويستأنف الناس ، بل حتى الحيوانات حياتهم ؛ ليمضي الزمان فلا شيء يوقفه بل ان أبا محمد نفسه قد عاد الى عمله ، قال : ((ويواصل أبو محمد السير الى الحقل ، يسوق بقرته ويسحب محراثه ، ولكن دون أن يكون معه في هذا الصباح ـــ كما في كل صباح قادم ـــ محمد)) (٣٧) ، وهذه هي الفكرة التي أراد القاص عبد الله خورسيد أن يوصلها لنا من خلال قصتة (المحراث) .

العامية التي تبدو ـــ لمن يحسن قراءتها ـــ منسجمة مع نسيج القصة غير مقحمة عليه .

وقد استطاع القا ص بنجاح أن يوضح معالم الصراع في قصته ، فالطرف الأول الأب ، والطرف الثاني هو الجهل ، فالأب يريد أن يبين أنه تصرف كالمثقفين العارفين ، قال واصفا حاله في المستشفى : ((استراحت نفسي بعد هذه الأدعية التي همستها في حرارة فرحت اتحرك ـــ ولكن غير بعيد ـــ في الصالة الكبيرة المربعة . أشخا ص مختلفون لعلهم مرضى ، أو أقارب مرضى ، أو أصدقاؤهم يتحركون في الصالة من ناحية الى ناحية ، في بطء من ينتظر شيئا مازال بعيدا يدسون أيديهم في جيوب بنطلوناتهم أحيانا ، ويدخنون أحيانا أخرى ، ويتطلعون الى الممرضين والممرضات أحيانا ثا لثة . ولكن عيونهم تمتليء كل الوقت بنظرة ثا بته مفكرة . بدا لي من الذكاء . ومن حق الزمالة كذلك أن استطلع رأيهم في العملية ، تخيرت منهم من يبدو عليه الفهم والمعرفة والطيبة . أفضت إليهم بالأمر ، وسألتهم تقديرهم لخطورة العملية ، واحتمالات نجاحها ...)) (٣٤) .

مع ما حاول القا ص من إضفاء صفة الفهم على الأب يبدو أنه جاهل بما يجب أن يفعله في حاله هذه ، فهو يرى أن من حوله له عليهم حق الزمالة ، وهذا الحق أملى عليه ضرورة سؤالهم عن العملية وخطورتها ، وكأنهم وجود هؤلاء في المستشفى وحده كاف ؛ ليكونوا عارفين بخطورة هذه العملية وأهميتها .

ونجد مظهراً آخر لصراعه مع جهله في قوله : ((أصابه سلاح المحراث في ساقه ونحن في الحقل . لم يصرخ . لم يكن حتى يتألم . صحيح أن دماً كثيراً نزل في الحا ل كأن دجاجة ذبحت ، ولكنني أسرعت فلطست الجرح بالطين ، طين الحقل طاهر . أسرعنا الى البيت . فغسلت الطين عن الجرح ، وكبسته بالبن ـــ والبن مجرب في الجروح ـــ وربطته ربطاً شديداً بقطعة قماش نظيفة غسلتها أم محمد ـــ والله ـــ بيديها)) (٣٥) . فهو يؤكد معرفته بأصول علاج الجروح ، سرعة التصرف أولاً، ثم صحة اتخاذ القرار من خلال استعمال الطين الطاهر على الرغم من عمق الجرح ، ثم البن الذي سيمنع النزيف عن الجرح ،وأخيراً الربط المحكم بقطعة قما ش نظيفة . وبهذا تبدو مشاعر أبي محمد ، وقد تمزقت ألماً وحسرة ، لتظهر لنا

١٧- ينظر اللغـــــــــــــــــــــــــــــــة واللون ، أحمد مختار عمر ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٢ ـــ ١٩٨٢ : ١٨٩ .
١٨- المصدر نفسه : ١٩٦ .
١٩- المصدر نفسه : ١٩١ .
٢٠- قصّة المحراث: ٢١٤ .
٢١- المصدر نفسه ، المكان نفسه .
٢٢- اللغة واللون : ١٩٢ .
٢٣- قصة المحراث : ٢١٥ .
٢٤- المصدر نفسه : المكان نفسه .
٢٥- الأدب وفنونه : ١٩٢ .
٢٦- قصة المحراث : ٢١٠ .
٢٧- المصدر نفسه : ٢١١ .
٢٨- المصدر نفسه : المكان نفسه .
٢٩- المصدر نفسه : ٢٠٨ .
٣٠- المصدر نفسه : ٢١٣ .
٣١- المصدرنفسه : ٢٠٧ .
٣٢- المصدر نفسه : ٢٠٨.
٣٣- المصدر نفسه : ٢١٠ .
٣٤- المصدر نفسه : ٢١٢ .
٣٥- المصدر نفسه : ٢١٠ .
٣٦- المصدر نفسه : ٢١٥ .
٣٧ـ المصدر نفسه : ٢١٧ .

الهوامش : -

١- القصة منشورة ضمن مقالات ضمّها كتاب (شخصية الأدب العربي وخطوات في الشعر والمسرح والقصة) ، د. اسماعيل عفيفي . دار القلم ، الكويت ، ط١ ، ١٣٩٤ـــ ١٩٧٤ .

٢- من روائع الأدب العربي ، فنون أدبية (شعر ونثر) ، موازنات (دراسات تحليلية) ، دار البحوث العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ١٩٧٩ :١٩٩ .

٣- قصة المحراث : ٢١٠ .

٤- المصدر نفسه : ٢١٧ .

٥- المصدر نفسه : ٢٠٧ .

٦- الكامل في النقد الأدبي ،كمال أبو مصلح ، المكتبة الحديثة ، بيروت ـــ لبنان ، ط ٣ ، ١٩٦٧ : ٧٥ .

٧- قصّة المحراث : ٢٠٨ .

٨- المصدر نفسه : ٢١٤ .

٩- فن القصة القصيرة ، د. رشاد رشدي ، دار العودة ، بيروت ـــ لبنان ، ط ٢ ، ١٩٧٥ : ٣٩ .

١٠- قصة المحراث : ٢١١ .

١١- المصدر نفسه : ٢١٦ .

١٢- الأدب وفنونه ، د. عز الدين أسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط ٤ ، ١٩٦٨ : ١٨٧ .

١٣- قصّة المحراث :٢١٢ .

١٤- المصدر نفسه : المكان نفسه .

١٥- المصدر نفسه : ٢١٥ .

١٦- المصدر نفسه : ٢١١ .

Summary

Al – Mahrath Short Story deal with Important side of Egyptian farmer named Abo - Mohammed his sun die in the farm by incident because of his bad behavior with his wounded Recover we see him told us his Sun inquired Story and Treatment in the hospital Until his Sun death . Than the father retrain to his old life with his land .

I Study the work elements in this story from: character , dialogue and the wrighter diction the art and social thoughts in this story to discover the graceful of the righter Dr Abd – Allah kharheed .

، كما تأثر الخليج العربي بحضارة جنوبي الجزيرة العربية ، وأن كلا الحضارتين المذكورتين تعدان الأقرب إلى مناطق الخليج والجزيرة ، ودخلت إلى موانئ الخليج العربي مواد تعود إلى الحضارات الأخرى كوادي السند ، وأن شواطئ الخليج كثيراً ما شهدت نزول الملاحين القدماء من مختلف البلدان ، وأبرزها بلاد الرافدين ، لذلك لا نجد غرابة في أن المستوطنات التي قامت على هذه الشواطئ لا تتعدى أنها " مناطق إنتقال حضاري " بين ثقافات العالم القديم ، التي تمثلت في الصناعات والفنون التي نزلت إلى شواطئ الخليج مع الملاحين والتجار الوافدين .

ولا ريب أن هذه الظروف البيئية والمناخية هي السبب في تباعد مراكز الإستيطان الساحلية للخليج ، وهي وحدها التي تتمكن من تحقيق بعض الإتساع المساحي والنمو السكاني بما في ذلك إتجاه هجرة سكان المناطق المجاورة إليها وكذلك الوافدين من الخارج ، أما دواخل مناطق الخليج العربي فلم تكن موفقة في إحتواء مستوطنات كبيرة دائمة كالتي أشارت إليها النصوص المسمارية ، مثل " دلمون " (جزيرة البحرين) و " مكان " الكائنة في خليج عمان [٦] .

كان الخليج العربي موضع أهتمام قدماء العراقيين والمنفذ الوحيد لتجارتهم البحرية ، فقد دلتنا النصوص المسمارية القديمة من بلاد الرافدين ، ومنذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد على أثنتين من المحطات البحرية الرئيسة على شواطئه هما : " دلمون " أو " تلمون " ، الأسم التاريخي للبحرين ، و " مكان " وهي على الأرجح عُمان [٧] ، المحطة التي تلي دلمون على امتداد الخليج العربي باتجاه جنوبي الجزيرة العربية (اليمن) ، وكذلك مناطق القارة الهندية وبلدان الشرق الأقصى ، فقد وصلت السفن التجارية القادمة من بلاد الرافدين إلى " ملوخا " في وادي السند بالجهات الشرقية للهند ، وفي رأي آخر ، أن " ملوخا " قد تكون في الحبشة [٨] . هذا الرأي بالطبع يتجه بالخط التجاري البحري وجهة معاكسة تماماً عن اتجاهه نحو بلدان الشرق التي كانت على اتصال واضح مع بلاد الرافدين خلال العصور التاريخية القديمة كما تشير الأختام السندية المكتشفة في مدينة أور ،هذه الأختام ترجع لحضارة " موهنجو دارو" ببلاد الهند (الخارطة ٣) [٩] ، حيث أرخت بالفترة بين العصر الأكدي (٢٣٣٤ – ٢٢٧٩ ق.م) وفترة الحكم الكشي (١٥٧٠ – ١١٥٧ ق.م) [١٠] .

ومن ناحية أخرى ، ليست علاقة التجار والرحالة العرب – المسلمين مع أقاليم الهند والشرق الأقصى بخافية على المتخصصين في المجال